

تعزية أصحاب المصائب

2

تعزية أصحاب المصائب

من سعيد بن علي بن وهف القحطاني إلى فضيلة الشيخ أحمد الحواشي
وزوجته أم أنس وتسنيهم وجميع أسرته.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد بلغني إحراق جامعكم ومكتبتكم وبيتكم، ووفاة ولديكم، فالمني كثيراً،
وقد اتصلت بكم مع الناس وعزيتكم، ولكن هذه تعزية خاصة.

وعزاءكم قول الله تعالى: ﴿الم ١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا
وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ [العنكبوت: ١-٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى
نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ ﴿٣١﴾ [محمد: ٣١]، وقوله
تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ
كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَيْسَ اللَّهُ
بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠﴾ [العنكبوت: ١٠].

فالله أسأل أن يُحسن عزاءكم، وأن يجمعكم ومن فقدتم في الفردوس الأعلى
من الجنة، واعلموا «أن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل

مسمى، فاصبروا واحتسبوا»^(١)، وأبشروا بما وعد الله عباده المؤمنين الصابرين، وإليكم ما تظمننُّ به قلوبكم، ويُبرِّد حرَّ مصيبتكم العظيمة، ويشرح صدوركم، ويذهب همومكم وغمومكم من كلام ربكم الكريم، الحكيم، الرؤوف، الرحيم، الذي هو أرحم بالعباد من والديهم، ومن كلام نبيكم وقدوتكم وحبيبكم مُحَمَّد ﷺ:

١- صلوات الله ورحمته وهدايته للصابرين: قال الله تعالى:

﴿وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ أي: بشرهم بأنهم يُوقُونَ أجورهم بغير حساب، فالصابرون هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة، والمنحة الجسيمة، ثم وصفهم بقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾، وهي كل ما يُؤلم القلب أو البدن، أو كليهما، كما تقدم في الآيات، ومن ذلك موت الأحباب، والأولاد، والأقارب، والأصحاب، ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، أو بدن من يحبه، ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ أي مملوكون لله، مُدَبَّرُونَ تحت أمره، وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأولادنا، وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء فقد تصرَّف أرحم الراحمين بماليكه وأموالهم، فلا اعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد: علمه بأن وقوع البليَّة من المالك الحكيم الذي هو أرحم بعبده من نفسه ووالدته، فيوجب له ذلك الرضا عن الله، والشكر له على تدييره؛ لِمَا هو خير لعبده وإن لم

(١) انظر: مسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، برقم ٩٢٣.

يشعر بذلك، ومع أننا مملوكون لله فإننا إليه راجعون يوم المعاد، فمجاز كل عامل بعمله، فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفراً عنده، وإن جزعنا وسخطنا لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر، فكون العبد لله وراجع إليه من أقوى أسباب الصبر ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بالصبر المذكور ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي ثناء من الله عليهم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ عظيمة، ومن رحمته إياهم أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ الذين عرفوا الحق، وهو في هذا الموضع علمهم بأنهم لله، وأنهم إليه راجعون، وعملوا به، وهو هنا: صبرهم لله^(١).

قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: «نعم العدلان ونعمة العلاوة ﴿أُولَئِكَ عَلَيْنَهُمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾، فهذان العدلان، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^(١٥٧)، فهذه العلاوة، وهي ما توضع بين العدلين، وهي زيادة في الحمل، فكذلك هؤلاء أعطوا ثوابهم وزيدوا أيضاً»^(٢).

٢- الاستعانة بالصبر من أسباب السعادة، قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

٣- محبة الله للصابرين، قال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

(١) تيسير الكريم الرحمن للعلامة السعدي، ص ٧٦، وتفسير ابن كثير، ص ١٣٥.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ص ١٣٥، وهو في صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الصبر عند الصدمة الأولى، الباب رقم ٤٢، قبل الحديث رقم ١٣٠٢.

٤- معية الله مع الصابرين: قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا

بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

٥- استحقاق دخول الجنة لمن صبر، قال الله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ يُجْزَوْنَ

الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥].

٦- الصابرون يُوفون أجرهم بغير حساب، فلا يُوزن لهم، ولا يُكال لهم، إنما

يُعرف لهم غرقاً، وبدون عدٍّ ولا حدٍّ، ولا مقدار^(١)، قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

٧- جميع المصائب مكتوبة في اللوح المحفوظ، من قبل أن يخلق الله الخليفة

ويبرأ النسمة، وهذا أمر عظيم لا تُحيط به العقول؛ بل تذهل عنده

أفئدة أولي الألباب، ولكنه على الله يسير^(٢)، قال الله ﷻ: ﴿مَا

أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ

قَبْلِ أَنْ نَنْزِلَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [٢٣] لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا

فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [٢٣]

[الحديد: ٢٢-٢٣].

٨- ما أصاب من مصيبة في النفس، والمال، والولد، والأحباب، ونحوهم إلا

بقضاء الله وقدره، قد سبق بذلك علمه، وجرى به قلمه، ونفذت به

مشيئته، واقتضته حكمته، فإذا آمن العبد أنها من عند الله فرضي

بذلك وسلّم لأمره، فله الثواب الجزيل، والأجر الجميل، في الدنيا

(١) تفسير ابن كثير، ص ١٥١١، وتفسير السعدي، ص ٧٢١.

(٢) تفسير ابن كثير، ص ١٣١٣، وتفسير السعدي، ص ٨٤٢.

والآخرة، ويهدي الله قلبه فيطمئن ولا ينزعج عند المصائب، ويرزقه الله الثبات عند ورودها، والقيام بموجب الصبر فيحصل له بذلك ثواب عاجل، مع ما يدخره الله له يوم الجزاء من الثواب^(١)، قال الله تعالى:

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]، قال علقمة عن عبد الله:

﴿وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ هو الرجل الذي إذا أصابته مصيبة رضي بها وعرف أنها من الله^(٢).

وما أحسن ما قال ابن ناصر الدين الدمشقي رحمته الله تعالى:

سبحان من يتلى أناساً أحبَّهم والبلاء عطاء
فاصبر لبلوى وكن راضياً فإن هذا هو الدواء

٩- الله تعالى يجزي الصابرين بأحسن ما كانوا يعملون، قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦] فَسَمَّ مِنَ الرَّبِّ تَعَالَى مُؤَكَّدٌ بِاللَّامِ أَنَّهُ يَجْزِي الصَّابِرِينَ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ: الْحَسَنَةُ بَعَشْرَ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا، أَيْ وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ^(٣)، وَلِلَّهِ دَرُّ أَبِي يَعْلَى الْمُوصِلِيِّ الْقَائِلُ:

(١) تفسير السعدي، ص ٨٦٧.

(٢) البخاري، كتاب التفسير، سورة التغابن، بعد الحديث رقم ٤٩٠٧.

(٣) تفسير ابن كثير، ص ٧٥٣، وتفسير السعدي، ص ٤٤٩.

إني رأيت وفي الأيام تجرِبَةٌ للصبر عاقبةٌ محمودَةٌ الأثرِ
وقلّ من جدّ في أمرٍ يحاولُهُ واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر^(١)

١٠ - ما يُقال عند المصيبة والجزاء والثواب والأجر العظيم على ذلك، فعن

أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من عبدٍ تُصيبه مصيبةٌ فيقول: **إِنَّا لِلَّهِ، وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون، اللَّهُمَّ أَجْرني في مصيبتِي، واخلف لي خيراً منها، إلا أجره الله في مصيبتِهِ، وأخلف له خيراً منها**» قالت أم سلمة، فلما توفي أبو سلمة رضي الله عنه قلت كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخلف الله لي خيراً منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي لفظ: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون، اللَّهُمَّ أَجْرني في مصيبتِي واخلف لي خيراً منها...**» الحديث^(٢). وفي لفظ ابن ماجه: «**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون، اللَّهُمَّ عندك احتسب مصيبتِي، فأجْرني فيها، وعوّضني خيراً منها**»^(٣).

وحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون نعم، فيقول: قبضتم ثمرة

(١) انظر: الصبر الجميل لسليم الهلالي، ١٥ - ١٦.

(٢) مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، برقم ٩١٨.

(٣) ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصبر على المصيبة، برقم ١٥٩٨، وصححه

الألباني، في صحيح ابن ماجه، ٢٦٧/١، وأصله في صحيح مسلم.

فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسمّوه بيت الحمد»^(١).

قال ابن ناصر الدين رحمته الله تعالى:

يجري القضاء وفيه الخير نافلة لمؤمن واثق بالله لا لاهي إن جاءه فرح أو نابه ترح في الحالتين يقول الحمد لله^(٢)

١١- الأجر العظيم والثواب الكثير والفوز بالجنة لمن مات حبيبه المصافي

فصبر، وطلب الأجر من الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال: يقول الله تعالى: «ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت

صفيّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»^(٣)، قوله: «جزاء» أي

ثواب وقوله: «إذا قبضت صفيّه» وهو الحبيب المصافي: كالولد،

والأخ، وكل ما يحبه الإنسان، والمراد بالقبض قبض روحه وهو الموت..

وقوله: «ثم احتسبه إلا الجنة»، والمراد: صبر على فقد راجيًا من الله

الأجر والثواب على ذلك. والاحتساب: طلب الأجر من الله تعالى

خالصًا.

ووجه الدلالة من هذا الحديث «أن الصفيّ أعمّ من أن يكون ولدًا أم

غيره، وقد أفرد ورتّب الثواب بالجنة لمن مات له فاحتسبه»^(٤).

(١) الترمذي، برقم ١٠٢١، ويأتي تخريجه.

(٢) برد الأكباد عند فقد الأولاد للحافظ محمد بن عبد الله بن ناصر الدين، ص ١٧.

(٣) البخاري، كتاب الرقاق، باب العمل الذي يتغى به وجه الله، برقم ٦٤٢٤.

(٤) فتح الباري، لابن حجر، ١١ / ٢٤٢ - ٢٤٣.

وسمعت شيخنا الإمام ابن باز رحمته الله يقول: «صفيه: حبيبه: كولدته، أو أبيه، أو أمه، أو زوجته»^(١).

١٢- أشد الناس بلاءً: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل؛ لحديث مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أيُّ الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل: يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلَبًا اشتدَّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقةً ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»^(٢).

أكثر وأصعب بلاء: أي محنة ومصيبة؛ لأنهم لو لم يُبتلوا لثوهم فيهم الألوهية؛ ولبتوهن على الأمة الصبر على البلية؛ ولأن من كان أشد بلاء كان أشد تضرعًا، والتجاءً إلى الله تعالى «ثم الأمثل فالأمثل» أي الفضلاء، والأشرف فالأشرف، والأعلى فالأعلى رتبة ومنزلة، فكل من كان أقرب إلى الله يكون بلاؤه أشد؛ ليكون ثوابه أكثر «فإن كان في دينه صلَبًا» أي قويًا شديدًا «اشتد بلاؤه» أي كميّة وكيفيّة «فما يبرح البلاء» أي ما يفارق^(٣).

(١) سمعته أثناء تقريره على صحيح البخاري، الحديث رقم ٦٤٢٤، وذلك في فجر الأحد الموافق ١٤/١٠/١٩١٩هـ في الجامع الكبير بالرياض.

(٢) الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم ٢٣٩٨، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، برقم ٤٠٢٣، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٥٦٥/٢، وفي صحيح ابن ماجه، ٣٧١/٢، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٤٣.

(٣) تحفة الأحوذى للمباركفوري، ٧/٧٨-٧٩.

ومما يزيد ذلك وضوحًا وتفسيرًا، حديث أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه: «إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل، فما يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها»^(١).

١٣- من كان بلاؤه أكثر فتوابه وجزاؤه أعظم وأكمل؛ لحديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»^(٢).

والمقصود الحث على الصبر على البلاء بعد وقوعه لا الترغيب في طلبه للنهي عنه، فمن رضي بما ابتلاه الله به فله الرضى منه تعالى وجزيل الثواب، ومن سَخِطَ: أي كره بلاء الله وفتح ولم يرض بقضائه تعالى، فله السخط منه تعالى وأليم العذاب، ومن يعمل سوءًا يُجز به^(٣).

ولا شك أن الصبر ضياء كما قال النبي ﷺ: «والصبر ضياء»^(٤).

والضياء: هو النور الذي يحصل فيه نوع حرارة وإحراق كضياء الشمس، بخلاف القمر، فإنه نور محض فيه إشراق بغير إحراق، ولَمَّا كان الصبر شاقًّا

(١) أبو يعلى، وابن حبان، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٥٩٩.

(٢) الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم ٢٣٩٦، وابن ماجه،

كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، برقم ٤٠٣١، وحسنه الألباني في صحيح سنن

الترمذي، ٥٦٤/٢، وفي صحيح ابن ماجه، ٣٧٣/٢، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة،

برقم ١٤٦.

(٣) تحفة الأحوذى للمباركفوري، ٧٧/٧.

(٤) مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، برقم ٢٢٣.

على النفوس يحتاج إلى مجاهدة النفس، وحبسها، وكفها عما تحواه، كان ضياءً^(١)؛ ولهذا - والله أعلم - يُوقى الصابرون أجرهم بغير حساب، بفضل الله ﷻ.

١٤ - ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة حتى يلقي الله وما عليه خبيثة؛ لأنها

زالت بسبب البلاء^(٢)؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة: في نفسه، وماله، وولده، حتى يلقي

الله وما عليه خبيثة»^(٣).

١٥ - فضل من يموت له ولد فيحتسبه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال

رسول الله ﷺ: «ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا

الحنث^(٤) إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم»^(٥).

والولد يشمل الذكر والأنثى.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تعدون

الرقوب^(٦) فيكم؟ قال: قلنا: الذي لا يُولد له. قال: «ليس ذاك بالرقوب،

ولكنه الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئاً»^(١).

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ٢٤/٢، ٢٥.

(٢) تحفة الأحوذى للمباركفوري، ٨٠/٧.

(٣) الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم ٢٣٩٩، وحسنه

الألباني في صحيح الترمذي، ٥٦٥/٢، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٢٢٨٠.

(٤) لم يبلغوا الحنث: أي لم يبلغوا سن التكليف الذي يكتب فيه الحنث وهو الإثم. شرح

النووي على صحيح مسلم، ٤٢٠/١٦.

(٥) البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المسلمين، برقم ١٣٨١.

(٦) أصل الرقوب في كلام العرب الذي لا يعيش له ولد.

١٦- من مات له ثلاثة من الولد كانوا له حجاباً من النار؛ ودخل الجنة؛
 لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من مات له ثلاثة من الولد لم
 يبلغوا الحنث كان له حجاباً من النار أو دخل الجنة»^(٢). وفي صحيح
 مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لامرأة مات لها ثلاثة من الولد: «لقد
 احتظرت بحظار شديد^(٣) من النار»^(٤)؛ ولحديث عتبة بن عبد رضي الله عنه
 قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من مسلم يموت له ثلاثة من
 الولد، لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء
 دخل»^(٥).

١٧- من قَدَّم اثنين من أولاده دخل الجنة؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسوة من الأنصار: «لا يموت لإحدكن ثلاثة
 من الولد فتحتسبه إلا دخلت الجنة»، فقالت امرأة منهن: أو اثنين يا

-
- (١) مسلم، كتاب البر والصلوة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، برقم ٢٦٠٨.
 (٢) البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المسلمين، قبل الحديث رقم ١٣٨١،
 تكلم الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ٣/٢٤٥ عن وصله، وقال: «قوله: كان له» كذا
 للأكثر: أي كان قولهم له حجاباً، وللكشميهني: «كانوا» أي الأولاد.
 (٣) احتظرت: أي امتنعت بمانع وثيق، والحظار ما يجعل حول البستان وغيره من قصبان
 وغيرها كالحائط، شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/٤٢٠ - ٤٢١.
 (٤) مسلم، كتاب البر والصلوة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، برقم ٢٦٣٦.
 (٥) ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب في ثواب من أصيب بولده برقم ١٦٠٣، وحسنه
 الألباني في صحيح ابن ماجه، ٤٦/٢.

رسول الله؟ قال: «أو اثنين»^(١)، قال النووي رحمه الله: وقد جاء في غير مسلم «وواحد»^(٢).

وعن أبي صالح ذكوان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بمدينتك فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه نُعلمنا مما علّمك الله، قال: «اجتمعن يوم كذا وكذا»، فاجتمعن فأتاهن رسول الله ﷺ، فعلمهن مما علمه الله قال: «ما منكن من امرأة تقدّم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجابًا من النار»، فقالت امرأة: واثنين، واثنين، واثنين؟ فقال رسول الله ﷺ: «واثنين، واثنين»^(٣).

١٨ - من مات له واحد من أولاده فاحتسبه وصبر دخل الجنة؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: «ما لعبدي

(١) مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، برقم ١٥١ (٢٦٣٢).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤٢٠/١٦، وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري ١١٩/٣ جميع الأحاديث التي فيها زيادة واحد وتكلم عليها كلامًا نفيسًا، ثم أشار إلى أن الذي يستدل به على ذلك حديث: «ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»، قال: وهذا يدخل فيه الواحد، فتح الباري، ١١٩/٣، و٢٤٣/١١.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسبه، برقم ١٠١، و١٢٤٩، و٧٣١٠، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، برقم ٢٦٣٣.

المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صقيته من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»^(١). قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «وهذا يدخل فيه الواحد فما فوقه وهو أصح ما ورد في ذلك، وقوله: «فاحتسب» أي صبر راضياً بقضاء الله راجياً فضله»^(٢)، وذكر ابن حجر رحمته الله أنه يدخل في ذلك حديث قرّة بن إياس، وسيأتي في الحديث الآتي^(٣).

وسياًتي أيضاً حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه الذي فيه قوله صلى الله عليه وسلم: «ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسمّوه بيت الحمد»، فهو يدلّ على أن من مات له ولد واحد دخل الجنة^(٤).

١٩- من مات له ولد فاحتسبه وجده ينتظره عند باب الجنة، بفضل الله صلى الله عليه وسلم ورحمته؛ لحديث قرّة بن إياس رضي الله عنه أن رجلاً كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابن له، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أتحبه؟» فقال: يا رسول الله أحبك الله كما أحبه، ففقده النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «ما فعل ابن فلان؟» قالوا: يا رسول الله مات، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه: «أما تحب أن لا تأتي باباً من أبواب الجنة إلا وجدته ينتظرك؟» فقال رجل: يا رسول الله: أله

(١) البخاري، كتاب الرقاق، باب العمل الذي يُبتغى به وجه الله، برقم ٦٤٢٤.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١١٩/٣، ولابن حجر كلام يؤيد هذا في شرحه

للحديث رقم ٦٤٢٤، في فتح الباري، ١١/٢٤٣.

(٣) فتح الباري، ١١/٢٤٣.

(٤) الترمذي، برقم ١٠٢١، وسيأتي.

خاصة أو لكُنَّا؟ فقال: «بل لِكُلِّكُمْ»، ولفظ النسائي: «ما يسرّك أن لا تأتي بابًا من أبواب الجنة إلا وجدته عنده يسعى يفتح لك؟»^(١).

٢٠- المؤمن إذا مات ولده سواء كان ذكرًا أو أنثى وصبر واحتسب وحمد الله على تدبيره وقضائه بنى الله له بيتًا في الجنة وسماه بيت الحمد؛ لحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا مات ولد العبد، قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد»^(٢).

وعن أبي سلمى راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعه: «بخ بخ - وأشار بيده لخمس - ما أثقلهن في الميزان: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، والولد الصالح يُتَوَقَّى للمرء المسلم فيحتسبه»^(٣).

(١) النسائي، كتاب الجنائز، باب الأمر باحتساب الأجر، برقم ١٨٧١، رقم الباب ٢٢، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ٢٤٣/١١: ((أخرجه أحمد، والنسائي، وسنده على شرط الصحيح، وقد صححه ابن حبان، والحاكم))، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ٤٠٤/٢.

(٢) الترمذي، كتاب الجنائز، باب فضل المصيبة إذا احتسب، برقم، ١٠٢١، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٥٢٠/١، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٤٠٨.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات، ٤٣٣/٧، وابن حبان، برقم ٢٣٢٨، والحاكم، ٥١١/١ - ٥١٢، وقال: ((صحيح الإسناد))، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الأحاديث الصحيحة، برقم ١٢٠٤.

٢١- السَّقَطُ يَجْرُ أُمَّهُ بِسَرِّهِ إِلَى الْجَنَّةِ؛ لحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ: قال: «والذي نفسي بيده إن السقط ليجرُّ أُمَّهُ بِسَرِّهِ إِلَى الْجَنَّةِ إِذَا احْتَسَبَتْهُ»^(١).

٢٢- وما يشرح صدر المسلم ويبرد حرَّ مصيبته أن أولاد المسلمين في الجنة، قال الإمام النووي رحمته الله بعد أن ساق الأحاديث في فضل من يموت له ولد فيحتسبه: «وفي هذه الأحاديث دليل على كون أطفال المسلمين في الجنة، وقد نقل جماعة فيهم إجماع المسلمين»، ونقل عن المازري قوله: «ونقل جماعة الإجماع في كونهم من أهل الجنة قطعاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١]^(٢).
ويدل عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن أولاد المسلمين في الجنة، «وأن أحدهم يلقى أباه فيأخذ بثوبه أو بيده فلا يتركه حتى يدخله الله وأباه، أو قال: أبويه الجنة»^(٣).

وسمعت شيخنا الإمام ابن باز رحمته الله يقول: «أجمع المسلمون على أن أولاد المسلمين في الجنة، أما أولاد الكفار ففيهم خلاف، وأصح ما قيل فيهم أنهم

(١) ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء فيمن أصيب بسقط، برقم ١٦٠٩، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٤٦/٢.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤٢١/١٦.

(٣) مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد، فيحتسبه، برقم ٢٦٣٥.

يُمتحنون يوم القيامة، أو هم من أهل الجنة بدون امتحان، وهو أصحَّ»^(١). وهو الصواب^(٢)؛ لحديث سمرة بن جندب رضي الله عنه في الحديث الطويل وفيه: «وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة»، فقال بعض المسلمين: يا رسول الله: وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وأولاد المشركين»^(٣).

٢٣- من تصبّر ودرّب نفسه على الصبر صبره الله وأعانته وسدّده؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه: «ومن يستعفف يُعفّه الله، ومن يستغن يُغنّه الله، ومن يتصبّر يصبره الله، وما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر»^(٤).

٢٤- من أراد الله به خيراً أصابه بالمصائب؛ ليشبهه عليها^(٥)؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يُرد الله به خيراً يُصب

(١) سمعته أثناء تقريره على صحيح البخاري، الحديث رقم ١٣٨١، و١٣٨٢.

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر، ٢٤٦/٣.

(٣) البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا بعد صلاة الصبح، برقم ٧٠٤٧.

(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، برقم ١٤٦٩،

وكتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله، برقم ٦٤٧٠، ومسلم، كتاب الزكاة، باب

فضل التعفف والصبر، برقم ١٠٥٣.

(٥) فتح الباري لابن حجر، ١٠٨/١٠.

منه»^(١). وسمعت شيخنا عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمته يقول:

«أي بالمصائب بأنواعها، وحتى يتذكر فيتوب، ويرجع إلى ربه»^(٢).

٢٥- أمر المؤمن كله خير في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء؛ لحديث

صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله

له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان

خييراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»^(٣).

٢٦- المصيبة تحط الخطايا خطأً كما تحط الشجرة ورقها؛ لحديث عائشة رضي الله عنها

قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر

الله بها عنه حتى الشوكة يُشاكها»^(٤).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مسلم يُصيبه

أذى من مرض فما سواه إلا حطَّ الله به سيئاته كما تحطُّ الشجرة ورقها»^(٥).

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما يُصيب المؤمن

من نَصَبٍ، ولا وَصَبٍ، ولا هَمٍّ، ولا حزنٍ، ولا أذى، ولا غمٍّ حتى الشوكة

(١) البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، برقم ٥٦٤٥.

(٢) سمعته أثناء تقريره على صحيح البخاري، الحديث رقم ٥٦٤٥.

(٣) مسلم، كتاب الزهد، باب المؤمن أمره كله خير، برقم ٢٩٩٩.

(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، برقم ٥٦٤٠،

ومسلم، كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه، برقم (٢٥٧٢).

(٥) مسلم، كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه، برقم ٢٥٧١.

يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها»^(١)، وفي لفظ: «ما يُصيب المؤمن من وَصْبٍ^(٢)، ولا نَصْبٍ^(٣)، ولا سَقَمٍ...».

٢٧- يجتهد المسلم في استكمال شروط الصبر التي إذا عمل بها المصاب المسلم حصل على الثواب العظيم، والأجر الجزيل، وتتلخص هذه الشروط في ثلاثة أمور:

الشرط الأول: الإخلاص لله عَلَيْكَ في الصبر؛ لقول الله عَلَيْكَ: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾^(٧) [المدثر: ٧]، ولقوله عَلَيْكَ في صفات أصحاب العقول السليمة: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(٨) [الرعد: ٢٢] ، وهذا هو الإخلاص في الصبر المبرأ من شوائب الرياء وحفظ النفس.

الشرط الثاني: عدم شكوى الله تعالى إلى العباد؛ لأن ذلك ينافي الصبر ويخرجه إلى السخط والجزع؛ لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قال الله تعالى: إذا ابتليت عبدي المؤمن ولم يشكني إلى عواده أطلقته من إساري، ثم أبدلته لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه، ثم يستأنف العمل»^(٩).

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، برقم ٥٦٤١،

٥٦٤٢، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه، برقم ٢٥٧٣.

(٢) الوصب: المرض.

(٣) النصب: التعب.

(٤) الحاكم في المستدرک، ١/٣٤٩ وقال: ((هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم

يخرجاه))، ووافقه الذهبي.

ولله دُرُّ الشاعر الحكيم حيث قال:

وإذا عرتك بليَّةً فاصبر لها صبر الكريم فإنه بك أعلم
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم^(١)

الشرط الثالث: أن يكون الصبر في أوانه، ولا يكون بعد انتهاء زمانه؛ لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر فقال: «أتق الله واصبري» [فقلت]: إليك عني فإنك لم تُصَبِّ بمصيبي، ولم تعرفه، فقبل لها: إنه النبي، فأنت باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين، فقلت: لم أعرفك، فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»^(٢). أي الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر الجزيل؛ لكثرة المشقة فيه، وأصل الصدم الضرب في شيء صلب، ثم استعمل مجازاً في كل مكروه حصل بغتة^(٣).

٢٨- أمور لا تنافي الصبر ولا بأس بها، منها ما يأتي:

الأمر الأول: الشكوى إلى الله تعالى؛ فالتضرع إليه، ودعاؤه في أوقات الشدة عبادة عظيمة، فإن الله أخبر عن يعقوب بقوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

وقال تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(٨٣) [يوسف: ٨٣].

(١) الفوائد لابن القيم، ص ١٦٥، وانظر: الصبر الجميل، لسليم الهلالي، ص ٢٨.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، برقم ١٢٨٣، ومسلم، كتاب

الجنائز، باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى، برقم ١٥ (٩٢٦).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤٨١/٦.

وقال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٨٦).

وأيوب عليه الصلاة والسلام أخبر الله عنه بقوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣).

وقال الله تعالى عنه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، فإذا أصاب العبد مصيبةً فأنزلها بالله، وطلب كشفها منه فلا ينافي الصبر^(١).

الأمر الثاني: الحزن ودمع العين؛ فإن ذلك قد حصل لأكمل الخلق نبينا محمد بن عبد الله ﷺ؛ لحديث أنس رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين^(٢) - وكان ظفراً^(٣) لإبراهيم عليه السلام - فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشتمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه^(٤)، فجعلت عينا

(١) انظر: الصبر الجميل، لسليم الهلالي، ص ٨٤.

(٢) القين: الحداد، ويطلق على كل صانع، يقال: قان الشيء: إذا أصلحه. فتح الباري لابن حجر، ١٧٣/٣.

(٣) ظفراً: مرضعاً، وأطلق عليه ذلك لأنه كان زوج المرضعة، وأصل الظفر: من ظأرت الناقة إذا عطفت على غير ولدها، فقيل ذلك للتي ترضع غير ولدها، وأطلق ذلك على زوجها؛ لأنه يشاركها في تربيته غالباً. وإبراهيم: ابن رسول الله ﷺ، فتح الباري لابن حجر، ١٧٣/٣.

(٤) يجود بنفسه: أي يخرجها ويدفعها كما يدفع الإنسان ماله. فتح الباري لابن حجر، ١٧٤/٣.

رسول الله ﷺ تذرّفان^(١)، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله^(٢)؟ فقال: «يا ابن عوف إنها رحمة» ثم أتبعها بأخرى^(٣) فقال: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربُّنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»^(٤).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ووقع في حديث عبد الرحمن بن عوف نفسه: فقلت يا رسول الله تبكي أَوْمَ تَنَّةَ عن البكاء؟ وزاد فيه: «إنما نَحَيْتَ عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نعمة لهُوٍ ولعبٍ ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة: خمش وجوه، وشق جيوب، ورثّة شيطان». قال: «إنما هذا رحمة، ومن لا يرحم لا يُرحم»^(٥).

(١) تذرّفان: يجري دمعهما. فتح الباري لابن حجر، ١٧٤/٣.

(٢) وأنت يا رسول الله: أي الناس لا يصبرون على المصيبة وأنت تفعل كفعالهم، كأنه تعجب لذلك منه مع عهده منه أنه يحث على الصبر وينهى عن الجزع، فأجابه بقوله: ((إنما رحمة)): أي الحالة التي شاهدتها مني هي رقة القلب على الولد، لا ما توهمت من الجزع)) فتح الباري لابن حجر، ١٧٤/٣.

(٣) ثم أتبعها بأخرى: قيل: أتبع الدمعة بدمعة أخرى، وقيل: أتبع الكلمة الأولى الجملة وهي قوله: ((إنما رحمة)) بكلمة أخرى مفصلة وهي قوله: ((إن العين تدمع))، فتح الباري لابن حجر، ١٧٤/٣.

(٤) متفق عليه، البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون»، برقم ١٣٠٣، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، برقم ٢٣١٥.

(٥) فتح الباري لابن حجر، ١٧٤/٣.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «هذا الحديث يفسر البكاء المباح، والحزن الجائر، وهو ما كان بدمع العين، ورقة القلب من غير سخط لأمر الله، وهو أبين شيء وقع في هذا المعنى، وفيه مشروعية تقبيل الولد وشمته، ومشروعية الرضاع، وعيادة الصغير، والحضور عند المحتضر، ورحمة العيال، وجواز الإخبار عن الحزن، وإن كان الكتمان أولى، وفيه وقوع الخطاب للغير، وإرادة غيره بذلك، وكل منهما مأخوذ من مخاطبة النبي ﷺ ولده مع أنه في تلك الحالة لم يكن ممن يفهم الخطاب لوجهين: أحدهما: صغره، والثاني نزاعه. وإنما أراد بالخطاب غيره من الحاضرين إشارة إلى أن ذلك لم يدخل في نهي السابق، وفيه جواز الاعتراض على من خالف فعله ظاهر قوله؛ ليظهر الفرق»^(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «اشتكى سعد بن عبادة شكوى له فأثاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله^(٢) فقال: «قد قضى؟» قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي ﷺ، فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا، فقال: «ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا^(٣) - وأشار إلى لسانه - أو يرحم^(٤)، وإن الميت يعذب ببكاء

(١) فتح الباري، لابن حجر، ١٧٤/٣.

(٢) في غاشية أهله: أي الذين يعيشونه للخدمة وغيرها. فتح الباري لابن حجر، ١٧٥/٣.

(٣) ولكن يعذب بهذا: أي إن قال سوءاً. فتح الباري لابن حجر، ١٧٥/٣.

(٤) أو يرحم: أي إن قال خيراً. فتح الباري لابن حجر، ١٧٥/٣.

أهله عليه»^(١)، وكان عمر رضي الله عنه يضرب فيه بالعصا، ويرمي بالحجارة، ويحثي بالتراب»^(٢).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «في هذا إشعار بأن هذه القصة كانت بعد قصة إبراهيم ابن النبي ﷺ؛ لأن عبد الرحمن بن عوف كان معهم في هذه ولم يعترضه بمثل ما اعترض به هناك، فدل على أنه تقرّر عنده العلم بأن مجرد البكاء بدمع العين من غير زيادة على ذلك لا يضر»^(٣).

وفي حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه في قصة لصبي لإحدى بنات رسول الله ﷺ حينما قال النبي ﷺ لرسول ابنته: «ارجع إليها فأخبرها: إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب»، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ وأقسمت عليه أن يحضر، فقام النبي ﷺ وقام معه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأسامة معهم، وحينما زُفِع الصبي للنبي ﷺ وهو في النزع، فاضت عيناه، فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»^(٤).

(١) يعذب بيبكاء أهله عليه: البكاء المحرم على الميت هو النوح، والندب بما ليس فيه، والبكاء المقرون بهما أو بأحدهما، شرح النووي على صحيح مسلم، ٤٨٠/٦. وانظر: فتح الباري لابن حجر، ١٥٣/٣-١٦٠ وشرح النووي، ٤٨٢/٦-٤٨٦.

(٢) متفق عليه: كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، برقم ١٣٠٤، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، برقم ٩٢٤.

(٣) فتح الباري لابن حجر، ١٧٥/٣.

(٤) متفق عليه، البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه»، برقم ١٢٨٤، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، برقم ٩٢٣.

وقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «شهدنا بنتاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على القبر، قال: فرأيت عينيه تدمعان»^(١).

٢٩- الأمور التي تعين على الصبر على المصيبة بفقد الأحباب كثيرة منها ما يأتي:

الأمر الأول: معرفة جزاء المصيبة وثوابها وهذا من أعظم العلاج الذي يُبَرِّد حرارة المصيبة، وتقدمت الأدلة على ذلك.

الأمر الثاني: العلم بتكفيرها للسيئات وحطّها كما تحطّ الشجرة ورقها^(٢).

الأمر الثالث: الإيمان بالقدر السابق بها، وأنها مقدره في أم الكتاب كما تقدم.

الأمر الرابع: معرفة حق الله في تلك البلوى، فعليه الصبر والرضا، والحمد والاسترجاع والاحتساب.

الأمر الخامس: أن يعلم أن الله قد ارتضاها له واختارها وقسمها، وأن العبودية تقتضي رضاه بما رضي له به سيده ومولاه، فإن لم يوفّ قدر المقام حقه فهو لضعفه، فلينزل إلى مقام الصبر عليها، فإن نزل عنه نزل إلى مقام الظلم وتعدي الحق.

(١) البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه»، رقم ١٢٨٥.

(٢) تقدمت الأدلة على ذلك في الفقرة رقم ٢٥.

الأمر السادس: العلم بترتيبها عليه بذنبه، فإن لم يكن له ذنب كالأنبياء والرسل فلرفع درجاته.

الأمر السابع: أن يعلم أن هذه المصيبة دواء نافع ساقه إليه العليم بمصلحته، الرحيم به، فليصبر ولا يسخط ولا يشكو إلى غير الله فيذهب نفعه باطلاً.

الأمر الثامن: أن يعلم أن عاقبة هذا الدواء: من الشفاء والعافية والصحة وزوال الآلام ما لم تحصل بدونه، قال الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال ﷺ: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

الأمر التاسع: أن يعلم أن المصيبة ما جاءت لتهلكه وتقتله، وإنما جاءت لتمتحن صبره وتبليبه، فيتبين حينئذٍ: هل يصلح لاستخدامه وجعله من أوليائه وحزبه أم لا؟ وفضل الله يؤتیه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

الأمر العاشر: أن يعلم أن الله يربي عبده على السراء والضراء، والنعمة والبلاء، فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال^(١).

الأمر الحادي عشر: معرفة طبيعة الحياة الدنيا على حقيقتها؛ فهي ليست جنة نعيم ولا دار مقام، إنما ممر ابتلاء وتكليف؛ لذلك فالكيس الفطن لا يفجأ بكوارثها، والله دُرُّ القائل:

(١) طريق المهجرتين وباب السعادتین لابن القيم، ص ٤٤٨-٤٥٩، وانظر: زاد المعاد،

إن لله عبادًا فُطِنَا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
 نظروا فيها فلمَّا علموا أنها ليست لحَيِّ وِطْنَا
 جعلوها بُجَّةً واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا
 فالحياة الدنيا لا تستقيم على حال، ولا يقر لها قرار، فيوم لك، ويوم آخر
 عليك، قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ
 الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا
 يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ١٤٠﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وقد أحسن أبو البقاء الرندي القائل:

لكل شيء إذا ماتم نُقصان فلا يُغرَّ بطيب العيش إنسان
 هي الأيام كما شاهدتها دول فمن سره زمنٌ ساءته أزمان^(١)

الأمر الثاني عشر: معرفة الإنسان نفسه؛ فإن الله هو الذي منح الإنسان
 الحياة فخلقه من عدم إلى وجود، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فهو ملك
 لله أولاً وآخراً، وصدق لبيد بن ربيعة رضي الله عنه القائل:

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بُدَّ يوماً أن ترد الودائع

الأمر الثالث عشر: اليقين بالفرج، فنصر الله قريب من المحسنين، وبعد
 الضيق سعة، ومع العسر يسراً؛ لأن الله وعد بهذا، ولا يخلف الميعاد، وقال
 سبحانه: ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

(١) هكذا نُقل عند البعض، ولكن للإمام البستي في نونيته نحو هذا قال رحمته:

تحسبن سروراً دائماً أبداً من سره زمنٌ ساءته أزمان

انظر: الجامع للمتون العلمية، للشيخ عبد الله بن محمد الشمراني، ص ٦٢٥.

وقد أحسن القائل:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج
وقد وعد الله عِبَّكَ بحسن العوض عما فات؛ فإن الله لا يضيع أجر من
أحسن عملاً، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا
لَنُبَوِّئَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤١-٤٢].
ولله ذرُّ القائل:

وكل كسرٍ فإن الله يجبره وما لكسرٍ فناة الدين جبران^(١)
الأمر الرابع عشر: الاستعانة بالله، فما على العبد إلا أن يستعين بربه أن
يعينه، ويجبر مصيبتَه، قال تعالى: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ
يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، ومن كانت
معية الله معه فهو حقيق أن يتحمل ويصبر على الأذى.

الأمر الخامس عشر: التأسي بأهل الصبر والعزائم، فالتأمل في سير الصابرين
وما لاقوه من ألوان الابتلاء والشدائد يعين على الصبر، ويطفى نار المصيبة

(١) هكذا سمعته من الشيخ مُجَّد بن حسن الدرعي، يقول: إنه كتبه له بعض أصدقائه
عندما انكسرت رجله، ولكن البيت في نونية علي بن مُجَّد البستي هكذا:

كل الذنوب فإن الله يغفرها إن شيع المرء إخلاص وإيمان

وكل كسر فإن الدين يجبره وما لكسر فناة الدين جبران

انظر: الجامع للمتون العلمية، للشيخ عبد الله بن مُجَّد الشمrani، ص ٦٢٦.

بررد التأسى، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

الأمر السادس عشر: استصغار المصيبة، قال النبي ﷺ: «يا أيها الناس أيما أحدٍ من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعرَّزْ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري؛ فإن أحدًا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشدَّ عليه من مصيبتِي»^(١).

وكتب بعض العقلاء إلى أخ له يعزيه عن ابن له يقال له: مُجَدِّ، فنظم الحديث الأنف شعراً فقال:

اصبر لكل مصيبة وتجلدِ واعلم بأن المرء غير مخلدٍ^(٢)
وإذا ذكرت محمداً ومصائبه فاذكر مصابك بالنبي محمدٍ

الأمر السابع عشر: العلم أن المصيبة في غير الدين أهون وأيسر عند المؤمن، والله ذرُّ القائل:

وكل كسرٍ فإن الله يجبره وما لكسر قناة الدين جبران
وذكر أن امرأة من العرب مرت بابنين لها وقد قتلوا، فقالت: الحمد لله رب العالمين، ثم قالت:

(١) ابن ماجه، واللفظ له، في كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصبر على المصيبة، برقم ١٥٩٩، والدارمي، ٤٠/١، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١١٠٦.

(٢) انظر: مقومات الداعية الناجح، للمؤلف، ص ٢٦٠-٢٧٩.

وكل بلوى تصيب المرء عافية ما يُصَبُّ يوماً يلقي الله في النار^(١)
 الأمر الثامن عشر: العلم بأن الدنيا فانية وزائلة، وكل ما فيها يتغير ويزول؛
 لأنها إلى الآخرة طريق، وهي مزرعة للآخرة على التحقيق، وقد دلّ على ذلك
 الكتاب والسنة:

أما الأدلة من الكتاب، فعلى النحو الآتي:

١- قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾
 وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَّكِنُونَ ﴿٣٤﴾ وَرُحْرُوقًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزخرف: ٣٣-
 ٣٥].

٢- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: ٢٤].

٣- وقال ﷺ: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: ٤٥].

(١) برد الأكابر عند فقد الأولاد؛ لابن ناصر الدين، ص ٦١.

- ٤- وقال تعالى: ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: ٦٠].
- ٥- وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].
- ٦- وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].
- ٧- وقال الله تعالى: ﴿فَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦].
- ٨- وقال سبحانه: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢].
- ٩- وقال الله ﷻ: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].
- ١٠- وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].
- ١١- وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

١٢- وقال تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر: ٣٩].

وأما الأدلة من السنة المطهرة، فقد زهد النبي ﷺ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا، وَرَعِبَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، بِفَعْلِهِ وَقَوْلِهِ ﷺ، عَلَى النُّحُو الْآتِي.

١- أما فعله فمنه حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «خرج النبي صلى الله عليه وسلم ولم يشبع من خبز الشعير»^(١).

٢- وقالت: «ما أكل آل محمد أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر»^(٢).

٣- وقالت: «إنا كنا ننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقدت في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار، فقال عروة: ما كان يقيتكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء»^(٣).

٤- وقال ﷺ: «لو كان لي مثل أحد ذهباً ما يسرني أن لا يمر عليّ ثلاثٌ وعندي منه شيء إلا شيء أَرُصُّهُ لَدَيْنِ»^(٤).

(١) البخاري، كتاب الأطعمة، باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون، برقم ٥٤١٤.

(٢) البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه، وتخليهم عن الدنيا، برقم ٦٤٥٥.

(٣) البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه، وتخليهم عن الدنيا، برقم ٦٤٥٩.

(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب الاستقراض وأداء الديون، والحجر والتفليس، باب أداء الديون، برقم ٢٣٨٩، ومسلم، كتاب الزكاة، باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة، برقم

٥- وقد ثبت عنه عليه السلام أنه اضطجع على حصير فأثّر في جنبه، فدخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولما استيقظ جعل يمسح جنبه فقال: يا رسول الله لو أخذت فراشًا أوثر من هذا؟ فقال عليه السلام: «ما لي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائفٍ فاستظلّ تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها»^(١).

٦- وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام حتى قبض»^(٢). والمقصود أنهم لم يشبعوا ثلاثة أيام متوالية، والظاهر أن سبب عدم شبعهم غالبًا كان بسبب قلة الشيء عندهم، على أنهم قد يجدون ولكن يؤثرون على أنفسهم^(٣).

٧- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان فراش رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم من آدم وحشوه ليف»^(٤).

٨- ومع هذا كان يقول عليه السلام: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا»^(١).

(١) أحمد في المسند، ٣٠١/١ بلفظه، والترمذي بنحوه، في كتاب الزهد، باب ٤٤، برقم ١٣٧٧، وقال: ((حديث حسن صحيح))، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، برقم ٤١٠٩، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٢/٢٨٠، وصحيح ابن ماجه، ٣٩٤/٢.

(٢) البخاري، كتاب الأطعمة، باب قول الله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ برقم ٥٣٧٤.

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر، ٩/٥١٧، ٥٤٩.

(٤) البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، برقم ٦٤٥٦.

- ٩- وقال ﷺ: «قد أفلح من أسلم، ورُزِقَ كفافاً، وقنَّعه الله بما آتاه»^(٢).
- وأما قوله في التزهيد في الدنيا والتحذير من الاعتزاز بها، فكثير، ومنه:
- ١٠- حديث مطرف عن أبيه ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ قال: «يقول ابن آدم: مالي، مالي، وهل لك من مالك يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفנית، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»^(٣).
- ١١- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يقول العبد: مالي مالي، إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، [و] ما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه الناس»^(٤).
- ١٢- وقال النبي ﷺ مرة لأصحابه: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله»؟ قالوا: يا رسول الله ما منا أحدٌ إلا ماله أحب إليه. قال: «فإن ماله ما قدّم، ومال وارثه ما آخّر»^(٥).
- ١٣- ودخل النبي ﷺ السوق يوماً فمرَّ بجدي صغير الأذنين ميت، فأخذه بأذنه ثم قال: «أيكم يجب أن هذا له بدرهم»؟ قالوا: ما نحب أنه لنا
-
- (١) متفق عليه: البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، برقم ٦٤٦٠، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة، واللفظ له، برقم ١٠٥٥.
- (٢) مسلم، كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة، برقم ١٠٥٤.
- (٣) مسلم، كتاب الزهد والرقائق، برقم ٢٩٥٨.
- (٤) مسلم، كتاب الزهد والرقائق، برقم ٢٩٥٩.
- (٥) البخاري، كتاب الرقاق، باب ما قدم من ماله فهو له، برقم ٦٤٤٢.

بشيء، وما نضع به؟ قال: «أتحبون أنه لكم؟» قالوا: والله لو كان حيًّا كان عيًّا فيه؛ لأنه أسكُّ^(١)، فكيف وهو ميت؟ فقال: «فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»^(٢).

١٤- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»^(٣).
والدنيا مذمومة إذا لم تستخدم في طاعة الله ﷻ:

١٥- فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكرُ الله، وما والاه، وعالمٌ، أو متعلم»^(٤)، وهذا يؤكد أن الدنيا مذمومة، مبعوضة من الله وما فيها، مبعدة من رحمة الله إلا ما كان طاعة لله ﷻ؛ وهوانها على الله ﷻ لم يبلغ رسوله ﷺ فيها وهو أحب الخلق إليه.

(١) الأسك: مصطلم الأذنين مقطوعهما.

(٢) مسلم، كتاب الزهد والرقائق، برقم ٢٩٥٧.

(٣) ابن ماجه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، برقم ٤١١٠، والترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله ﷻ، وقال: ((هذا حديث صحيح))، برقم ٢٣٢٠، وابن المبارك في الزهد والرقائق، عن رجال من أصحاب النبي ﷺ، برقم ٤٧٠، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٩٤٣، وفي صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٢٤٠.

(٤) الترمذي، بلفظه، كتاب الزهد، باب: حدثنا محمد بن حاتم، برقم ٢٣٢٢، وحسنه، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، برقم ٤١١٢، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٢٤٤.

١٦- فقد مات ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعًا من شعر^(١).
 وقوله: «وما والاه» أي ما يحبه الله من أعمال البر، وأفعال القرب، وهذا
 يحتوي على جميع الخيرات، والفاضلات، ومستحسنتات الشرع، وقوله: «وعالم
 أو متعلم» العالم والمتعلم: العلماء بالله، الجامعون بين العلم والعمل، فيخرج منه
 الجهلاء، والعالم الذي لم يعمل بعلمه، ومن يعلم علم الفضول، وما لا يتعلق
 بالدين. والرفع في «عالم أو متعلم» على التأويل: كأنه قيل: الدنيا مذمومة لا
 يحمّدُ مما فيها «إلا ذكر الله وما والاه، وعالم أو متعلم»^(٢)، فإذا رأى العاقل من
 ينافسه في الدنيا فعليه أن ينصحه ويحدّره وينافسه في الآخرة^(٣).

١٧- وفي قصة أبي عبيدة رضي الله عنه عندما قدم بمال من البحرين فجاءت
 الأنصار وحضروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح، فلما صلى بهم
 الفجر، تعرّضوا له، فتبسّم حين رآهم وقال: «أظنكم قد سمعتم أن
 أبا عبيدة قد جاء بشيء؟» قالوا: أجل يا رسول الله، قال: «فأبشروا،
 وأمّلوا ما يسركم، فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى
 عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم،

(١) انظر: البخاري، كتاب البيوع، باب شراء الطعام إلى أجل، برقم ٢٢٠٠، ومسلم،

كتاب المساقاة، باب الرهن وجوازه في الحضر والسفر، برقم ١٦٠٣.

(٢) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ١٠/٣٢٨٤ - ٣٢٨٥، ومرقاة المفاتيح

شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري، ٩/٣١، وتحفة الأحوزي للمباركفوري،

٦/٦١٣.

(٣) فقه الدعوة للمؤلف، ٢/١٠٠٧.

فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»، وفي رواية: «وتلهيكم كما ألهتهم»^(١).

١٨- وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض»، قيل: وما بركات الأرض؟ قال: «زهرة الدنيا»، ثم قال: «إن هذا المال خَصْرَةٌ حلوة، من أخذه بحقه ووضع في حقه فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع [ويكون عليه شهيداً يوم القيامة]»^(٢).

١٩- وقال حَبَابٌ رضي الله عنه: «إن المسلم يؤجر في كل شيء ينفقه إلا في شيء يجعله في هذا التراب»^(٣).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «أي الذي يوضع في البنيان وهو محمول على ما زاد على الحاجة»^(٤).

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، برقم ٣١٥٨، ٤٠١٥، ٦٤٢٥، ومسلم، كتاب الزهد والرفائق، برقم ٢٩٦١.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، برقم ٦٤٢٧، ومسلم، كتاب الزكاة، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا، برقم ١٠٥٢، وما بين المعقوفين من رواية مسلم.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب المرضى، باب تمنى المريض الموت، برقم ٥٦٧٢، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب كراهة تمنى الموت لضر نزل به، برقم ٢٦٨١.

(٤) فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، ١٠/١٢٩.

وذكر رحمه الله آثاراً كثيرة في ذمّ النبيان ثم قال: «وهذا كله محمول على ما لا تمسُّ الحاجة إليه مما لا بدُّ منه للتوطن، وما يقي البرد والحرّ»^(١).
والمسلم إذا لم يجعل الدنيا أكبر همه وفقه الله وأعانه.

٢٠- فعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول ربكم تبارك وتعالى: يا ابن آدم تفرَّغ لعبادتي أملاً قلبك غني، وأملاً يديك رزقاً، يا ابن آدم لا تباعد عني فأملاً قلبك فقراً، وأملاً يديك شغلاً»^(٢).

٢١- وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم تفرَّغ لعبادتي أملاً صدرك غني، وأسدّ ففرك، وإن لم تفعل ملأت يديك شغلاً، ولم أسدّ ففرك»^(٣). قال ذلك عندما تلا: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ [الشورى: ٢٠].

ولا شك أن كل عمل صالح يُبتغى به وجه الله فهو عبادة، بل وحتى الأعمال المباحة.

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، ٩٣/١١، و ١٢٩/١٠.
(٢) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ٣٢٦/٤، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ((وهو كما قالاً))، وصححه في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣١٦٥.
(٣) الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب حدثنا قتيبة، برقم ٢٤٦٦، وحسنه، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا، برقم ٤١٠٨، وأحمد، ٣٥٨/٢، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ٤٤٣/٢، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣١٦٦، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٣٤٦/٣، وفي صحيح الترمذي، ٥٩٣/٢.

٢٢- وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من كانت الدنيا همّة فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأت من الدنيا إلا ما كُتِبَ له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»^(١).

٢٣- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كانت الآخرة همّة جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همّة؛ جعل الله فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له»^(٢).

٢٤- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أحب دنياه أضربَ بأخوته، ومن أحب آخرته أضربَ بدنياه، فأثروا ما يبقى على ما يفنى»^(٣).

(١) ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا، برقم ٤١٠٥، وصححه الألباني إسناده في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٩٥٠، وصححه الجامع، ٣٥١/٥.

(٢) الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب: حدثنا سويد، برقم ٢٤٦٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٥٩٣/٢، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٩٤٩ - ٩٥٠.

(٣) أحمد، ٤١٢/٤، وابن حبان، برقم ٧٠٩، والحاكم، ٣١٩/٤، قال الإمام المنذري في الترغيب والترهيب، برقم ٤٧٤٤: ((رواه أحمد ورواته ثقات)). وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب على الحديث رقم ٣٢٤٧: ((صحيح لغيره))، وذكر له شاهداً في الأحاديث الصحيحة، برقم ٣٢٨٧.

٢٥- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه لما حضرته الوفاة قال: يا معشر الأشعريين ليبلغ الشاهد الغائب، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «حلاوة الدنيا مرة الآخرة، ومرة الدنيا حلاوة الآخرة»^(١).

الأمر التاسع عشر: العلم بأن الله تعالى يجمع بين المؤمن وذريته، ووالديه وأهله، ومن يجب في الجنة، وهذا الاجتماع الذي لا فراق بعده لقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١]، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «يخبر تعالى عن فضله وكرمه، وامتنانه، ولطفه بخلقه، وإحسانه: أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذريتهم في الإيمان يلحقهم بأبائهم في المنزلة، وإن لم يبلغوا عملهم؛ لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته، للتساوي بينه وبين ذلك»^(٢). وهذا فضله تعالى على الأولاد ببركة عمل الآباء، وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأولاد فثبت في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يَا رَبِّ أُنِّي لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك»^(٣).

(١) الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ٤/٣١٠، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٢٤٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ص ١٢٦٨، ٤/٢٤٣.

(٣) أخرجه أحمد في المسند، ٢/٢٠٩، قال الإمام ابن كثير رحمته الله تعالى في تفسيره: (إسناده صحيح).

قال العلامة السعدي رحمته: «وهذا من تمام نعيم أهل الجنة أن ألحق الله بهم ذريتهم الذين أتبعوهم بإيمان: أي الذين لحقوهم بالإيمان الصادر من آبائهم فصارت الذرية تبعًا لهم بالإيمان، ومن باب أولى إذا تبعتهم ذريتهم بإيمانهم الصادر منهم أنفسهم، فهؤلاء المذكورون يلحقهم الله بمنزل آبائهم في الجنة، وإن لم يبلغوها، جزاء لأبائهم، وزيادة في ثوابهم، ومع ذلك لا ينقص الله الآباء من أعمالهم شيئاً»^(١). وهذا هو الفوز العظيم.

نسأل الله تعالى أن يجمعنا في الفردوس الأعلى مع آبائنا، وذريّاتنا، وأزواجنا، وجميع أهلينا وأحبابنا في الله تعالى؛ إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

ولا شك أن من فارق ذريته وأهله، وأحبابه في الآخرة فقد خسر خسراً مبيئاً، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥] أي تفارقوا فلا التقاء لهم أبداً، وسواء ذهب أهلوههم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى النار، أو أن الجميع أسكنوا النار، ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور، وهذا هو الخسران المبين الظاهر الواضح^(٢).

وقال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا

(١) تيسير الكريم الرحمن، للعلامة السعدي، ص ٨١٥، وانظر: تفسير الطبري، ٢٢/٤٦٧ -

٤٧٠، وتفسير البغوي، ٤/٢٣٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ص ١١٥١.

حَاشِعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفِ حَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ
الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ
مُتَقِيمٍ ﴿٤٥﴾ [الشورى: ٤٤-٤٥]، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «أي ذهب بهم
إلى النار فعدموا لذتهم في دار الأبد، وخسروا أنفسهم، وفُزِقَ بينهم وبين
أحبائهم، وأصحابهم، وأهاليهم، وقربائهم فخسروهم»^(١).

وقد ذُكِرَ أن بعض الصالحين مات له ابن فجزع عليه جزعاً شديداً، حتى
امتنع من الطعام والشراب، فبلغ ذلك الإمام مُجَدِّدَ بن إدريس الشافعي، فكتب
إليه ومما كتب إليه:

إني معزيتك لا أتي على ثقةٍ من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزى بياقٍ بعد ميتته ولا المعزى ولو عاشا إلى حين^(٢)
وصلى الله وسلم على نبينا مُجَدِّدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم
بإحسان إلى يوم الدين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سعيد بن علي بن وهف القحطاني

ليلة الأحد ٤/١٠/١٤٢٩هـ

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ص ١١٩٤.

(٢) برد الأكباد عند فقد الأولاد، لابن ناصر الدين، ص ٦٧.